

علم الاخلاق

(١)

نهرجبر

(١) نرى كثيرا من الناس على اختلاف نزعاتهم وتباين
حرفهم وأعمالهم يحكمون على بعض الاعمال بأنه خير أو شر
أو يحكمون عليه بأنه حق أو باطل فبأى المقاييس قيس هذا
فحكم عليه بأنه خير أو أنه شر أو حق أو باطل ؟

(٢) كذلك نرى الناس تختلف غاياتهم فيما يطلبون من
عمل فبعضهم يطلب السلطة والجاه وآخر يطلب الذكر
الحسن وثالث يطلب حيازة الثروة وجمع المال، ولكن للنظرة
الاولى نعلم ان كل شىء من هذا ليس غاية الغايات

ألا تراك لو سألت طالب الجاه أو طالب المال لماذا
أنت مهالك فى الحصول على ماتريد لأبدي لك من العلل
والاسباب غاية أخرى كأن يقول إني أريد السعادة أو أريد
الحصول على مافيه الخير جهد المستطاع

مما تقدم تعلم أننا في حاجة الى أن نعرف المقياس الذى
نقيس به الخير والشر ونتفهم الغاية التى يجب أن تكون نصب
العامل عند ما يقدم على عمل من الاعمال
والعلم الذى يرشدنا الى ذلك هو علم الاخلاق فهو اذا
علم يبين لنا معنى الخير والشر ويشرح لنا ما يجب أن
تكون عليه معاملة الناس بعضهم بعضا والغاية التى ينبغى أن
تكون رائد العاملين فى أعمالهم ويبين لهم الطريق الموصل
الى تلك الغاية

مباحث علم الاخلاق

أفعال الانسان

الافعال التى تصدر من الانسان قسمان :

(١) أفعال اضطرارية أو غير ادارية كخفقان القلب

ورمش العين عند الانتقال فجأة من الظلمة الى النور وصفرة

الوجه عند الخوف والاضطراب

(٢) أفعال ارادية تصدر منه بعد الروية ولانعام النظر

والتفكير فى المقدمات وما توصل اليه من النتائج كمن يعزم

على بناء مستشفى في بلده ليخفف وطأة الامراض الفتاكة
ويقلل الوفيات في بني جلدته . وكن يدبر طريقة للفتك بعدوه
ويتخذ العدة ويهيئ الاسباب والوسائل التي تنيله بغيته .
يفعل كل هذا وهو هادي البال قارن النتائج بمقدماتها ،
والنوع الاول من تلك الافعال لا يدخل في دراسة علم
الاخلاق اذ لا يحكم على فاعله بأنه خير ولا شرير كما لا يحاسبه
الدين على ما يصدر منه من هذا النوع
أما النوع الثاني فهو الذي يبحث عنه هذا العلم ويجازى
فاعله على ما فعل ان خيرا وان شرا
وقصارى القول أن موضوع علم الاخلاق هو الاعمال
التي تصدر من العامل عن اختيار وعمد وهذه هي التي يحكم
عليها بأنها خير أو شر

ماذا نستفيع من دراسة علم الاخلاق

(١) ليس في مقدور علم الاخلاق أن يجعل الناس كلهم
أخيارا أطهارا زهادا نساكا بل الذي في استطاعته أن يرشدك

الى الخير ويبين لك فجأجه وأنحاءه ويفتح لك مرآة النظر
لترى آثاره . فما مثله الا مثل الطبيب الذي يخبر المريض
بضرر المسكر ويشرح له تأثيره وأضراره في العقل والجسم
وليس في طوقه أن يمنع المريض من الشرب فهو إن شاء
شرب وألقى كلام الطبيب وراءه ظهريا . وان شاء اتبع نصائحه
وقدّم بما يترتب على ذلك من الآثار

(٢) انه قد يكون من الميسور أحيانا لمن لم يدرس علم
الاخلاق أن يحكم حكما صادقا على بعض الاشياء بأنها خير
أو شر . كما يمكن أن يكون صالحا حسن الاخلاق

لكن الفرق بين شخصين أحدهما درس هذا العلم
وآخر لم يدرسه كالفرق بين رجلين أحدهما خبير بريضة الخيل
حاذق بيئتها عالم بالدقيق والجميل من محاسنها وعيوبها
والآخر لا يعرف الا شياتها وظاهر محاسنها فاذا أراد كلاهما
أن يشتري حصانا فكلّ يرى وينظر ما ينظره الآخر وكل
يتمتع ويلبس ، ولكن شتان ما بين النظرين فتجارب الاول
ومعارفه تجعله أصدق حكما وأسد رأيا فيما يحكم وهكذا الشأن

في علم الاخلاق فان دارسه أقدر على تمحيص الاعمال
ونقدتها وتقديرها حق قدرها دون أن يخضع في حكمه الى
إلف أو عادة أو يتأثر بحكم البيئة والمكان

(٣) ليس المقصد من دراسة علم الاخلاق أن نستظهر
نظرياتنا ونستذكر قواعده بل الغرض الاسمي منه أن نحمل
أنفسنا على سلوك الطريق القويم ونحصل خيرا وكالنا فهو
المشجع للإرادة على عمل الخير وسلوك السنن القويم والشاد
أزر العزيمة على المضي قدما في الولوع بالفضيلة واتخاذها
نبراسا في كل الاعمال ولكنه ليس بدائم النجاح في كثير
من الاحيان لانه انما ينبت غرسا حسنا اذا وجد أرضا
خصبة مستعدة للانبات . فهو اذا لم يجد نفسا مستعدة
بالقطرة لسلوك طريق الخير لن يثمر الشجرة المقصودة

(٢)

الخلق وامطانه نهزيبه

الخلق هو تغلب ميل من الميول على الانسان باستمرار
فالكريم المسامح هو الذي يتغلب عليه الميل الى البذل